وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد ـ كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية ـ فصلية ـ محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــــدد ﴿٣٩﴾
(٦) ذي الحجة (١٤٣٥هـ) ـ (٣٠) أيلول ٢٠١٤م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

قائمة المحتويات

اللغة والفكر والواقع

بين

المنهج المادي الديالكتيكي

ومنهج السيد محمد باقر الصدر

The Language, The Thought and The Factual Finding

in The View of

The Dialectic Method and The Methode AS'Said Muhammad Baqir A'Sadr

بحث تقدّم به

الدكتور

وسام مجيد جابر البكري

الجامعة المستنصرية . كلية الآداب . قسم اللغة العربية

Dr. Wisam. M. J. Al-Bakry

ملخص البحث

يتناول البحث ردود السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سرّه) الفلسفيّة والتاريخيّة والواقعية على المنهج الديالكتي الماركسي تجاه الفكر واللغة والواقع، وعلاقة كل منها بالآخر؛ فالفكر لديه يجب أن يسبق عملية الإنتاج، وإن اللغة ليست نابعة من عملية الإنتاج مثلما تنبع كل العلاقات والظواهر الاجتماعية في زعم الماركسية؛ وإنما تنبع من الحاجة إلى تبادل الأفكار، بوصفها المظهر المادي للفكر.

التفكير هو الذي خص الإنسان بالقدرة على تغيير الواقع المحسوس تغييراً حاسماً بعلاقاته الاجتماعية وبتواصله اللغوي؛ لأن اللغة أداة التفاعل وتبادل الأفكار؛ وبما أنّ الحيوانات ليست كائنات مفكّرة، وليست لديها لغة قادرة على التعبير عن الأفكار وعن الروابط الخاصة بين الأشياء المحسوسة، التي يراد تعديلها أو تغييرها؛ فلا يمكنها تغيير الواقع.

اللغة هي أداة التعبير عن ذات الإنسان، وأداة التواصل بين أبناء جنسه؛ وتُعَدّ أكثر أنواع التواصل دقةً وشمولاً. وهي ظاهرة إنسانية اجتماعية، مؤلفة من نظام صوتيّ (رموز)، وأنظمة تركيبية؛ صرفية ونحوية، فضلاً عن مجموعة مفردات تستعملها الجماعة اللغوية[١].

أما (الفكر) فيُقصَدُ به هنا[٢]:

١. الأفكار؛ سواء كانت صوراً ذهنية أو أفكاراً مجردة.
٢. الاتجاهات العامة للفكر، وطرائق التفكير وأساليبه.

وبهذين المعنيَيْنِ يمكننا تصوّر وجود علاقة بين اللغة والفكر؛ فإذا افترضنا وجود المشاعر والأحاسيس أولاً ثم التعبير عنها بوساطة اللغة بعد ذلك؛ فـ[٣]:

* هل يمكننا أن نَعُدَّ اللغة وسيلة للتعبير عن الفكر ؟ أي هل هنالك فكر مجرّد لا يعتمد على اللغة ؟.
* أم اللغة والفكر شيء واحد ؟.
* أم اللغة هي التي تحدّد مسار الفكر، وترسم له حدودَه ؟.

تعدّ علاقة اللغة بالفكر من العلاقات التي شغلت أذهان الفلاسفة واللغويين وعلماء النفس منذ القِدَم إلى الآن؛ إذ قُدِّمتْ عدة نظريات في هذا المجال؛ فالمدرسة السلوكية التقليدية ترى أنّ (اللغة والفكر شيءٌ واحد)، ورأى فيجوتسكي وبياجيه عدم وجود مثل هذه العلاقة، وإذا ما وُجدتْ، فإنها محصورة بمرحلة الطفولة؛ وهناك رأي آخر يرى وجود صلة وثيقة بين اللغة والفكر، ولكن كيف تكون هذه العلاقة وأيهما يؤثر في الآخر ؟ هذا ما وقع فيه الاختلاف أيضاً. وعلى الرغم من هذه الجهود التي بذلها علماء

اللغة وعلماء النفس في تحديد العلاقة بين اللغة والفكر إلا أنها لم تقدّم إجابات وافية عن الأسئلة التي أثيرت.

ينفي أحد الباحثين وجود بيان شامل للعلاقة بين اللغة والتفكير، وكل ما هنالك إنما يصدر وجهات من النظر والتأملات التي تستند إلى أساس دلائل البحوث التي يصعب تجميعها، وعلى الرغم من تباين وجهات النظر، و على الرغم من أن العلاقة بين اللغة والتفكير كانت دائماً موضع خلاف، فإن الباحثين يكادون يتفقون جميعاً الآن على أن هناك ارتباطاً بينهما''[٤].

لكنّ الذي يهتمّ به بحثنا هذا هو العلاقة بين اللغة والفكر التي شغلتْ أذهانَ الفلاسفة الوجوديين أمثال ماركس ولينين وبولتزير، وغيرهم، ونَقْض السيد محمد باقر الصّدر (قُدّسَ سرّهُ)[٥] لنظريتهم فيها. فلقد نالت النظرية الماركسية الشيوعية في تحديد الفكر واللغة وعلاقتهما بالمجتمع حظّاً وافراً من الانتشار في الأوساط الإسلامية، والعربية بخاصة؛ فتلقّفها المثقفون بوصفها إحدى نتائج التغيير الثوري للفكر والمجتمع !، التي كانت تحتاج إليها المجتمعات آنذاك؛ للتخلص من واقعها الثقافيّ السيّء.

وما زالت الأبحاث المعاصرة جارية لتحديد نوع العلاقة بينهما، فضلاً عن علاقتهما بالواقع؛ وكل منها يستند إلى مستند فلسفيّ أو أيديولوجيّ (فكريّ) أو علميّ ما.

وفي ظل شيوع الاتجاه الماديّ الماركسيّ برز المرجع الدينيّ السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ليؤلّفَ للردّ على الاتجاه الماركسيّ كتابين، هما: (فلسفتنا)

و (اقتصادنا)، ومنهما استقينا الردود المتعلقة باللغة والفكر والواقع. وسنُسلسل الردود بحسب الأدلة التي قدّمتها الماركسية:

أولاً: دليل المادية الديالكتيكية (الجدلية):

يقدّم الماركسيون دليلاً ديالكتيكياً، محاولةً منهم للتدليل على أن (اللغة) خاضعة لقانون (قفزات التطور) الديالكتيكي؛ ولِفَهم هذا الدليل، لا بد لنا من فَهم أهم مبادئه التي أُسّست عليها النظرية الماركسية[٦]:

١. الدياليكتيك، منطق الحركة: يتجلى في ثلاثة مستويات:

أ. ديالكتيك الطبيعة: وهو مستقل عن الوجود الإنساني وعن مشاريع الإنسان ونواياه أو حوافزه، ولا يُستبعد أن تتمكن البشرية مع تطور قوى الإنتاج من استخدام قوانين الطبيعة من أجل إعادة تكييف بيئتها الطبيعية.

ب. ديالكتيك التاريخ: وهو ديالكتيك موضوعي إلى حدّ بعيد، ولكن يُشَكّل إقحامه من جانب مشروع البروليتاريا، القاضي بإعادة بناء المجتمع وفقاً لبرنامج مُعَد مسبقاً انعطافا ثوريا [بحسب زعم الماديّين]، حتى لو ارتبط وضع هذا المشروع وتحقيقه بشروط مادية موضوعية موجودة مسبقاً، ومستقلة عن إرادة البشر.

ت. ديالكتيك المعرفة (الفكر الإنساني): هو ديالكتيك الموضوع . الذات، وناتج تفاعل مستمر بين الموضوعات المطلوبة معرفتها

(موضوعات كل فرع من العلوم) وعمل الذوات التي تسعى لفهمها، والتي يشرطها وضعها الاجتماعي، ووسائل التقصّي الموروثة.

فالديالكتيك هو الحركة الشاملة: كلّ شيء يتغيّر، كلّ شيء في حركة دائمة. هذه الحركة الشاملة يمكن أن نجدها في جميع مستويات الواقع، وليس في مستوى تاريخ المجتمعات البشرية فقط.

٢. الحركة، تبعاً للتناقض: الحركة بطبيعتها عبور وتخطّ. فمن زاوية سكونية، لا يمكن لشيء محدد أن يكون في مكانين مختلفين في الوقت ذاته. ولكل حركة أو تبدّل سبب، يكمن في التناقضات الداخلية للموضوع المتبدل. كل موضوع، كل ظاهرة، يتغير، يتحرك، يتعدل، ويتحول في التحليل الأخير تحت تأثير تناقضاته الداخلية والتناقضات التي تنتج عن علاقاته بظاهرات أخرى (تناقضات داخلية في « نظام » الموضوعات والظاهرات التي هو جزء منها). بهذا المعنى، غالباً ما سُمّي الديالكتيك: علم التناقضات. إن منطق الحركة ومنطق التناقضات تعريفان متماثلان عملياً للديالكتيك.

وقد اتّهمَ السيد الصدر الماركسية بأنها تضع الخطة العملية للتطوير السياسي المطلوب، ثم تفتّش عن المبرّرات المنطقية والفلسفية لتلك الخطة، ثم تساءَل: ما التصميم الذي أنشئ هذا القانون الديالكتي لحسابه ؟(٧).

وأما الجواب عنه؛ فقد عَدّه السيد الصدر ميسوراً؛ لأن الماركسية استحدثت قانون (قفزات التطور) القائل بتحولات دفعية للكمية إلى كيفية. والسبب في ذلك لديه أن الماركسية ''رأت أن الشيء الوحيد الذي يشقّ الطريق الى سيطرتها السياسية، أو الى

السيطرة السياسية للمصالح التي تتبنّاها، هو الانقلاب. فذهبت تفحص عن مستمسك فلسفيّ لهذا الانقلاب، فلم تجده في قانوني الحركة والتناقض؛ لأن هذين القانونين إنما يحتّمان على المجتمع أن يتطور تبعاً للتناقضات المتوحدة فيه. وأما طريقة التطور ودفعيته، فلا يكفي مبدأ الحركة التناقضية لإيضاحها''[٨].

وللتوضيح نقول: إنّ هناك تحولات كمّية وتحولات نوعية؛ فقد يتحوّل التبدّل الكمّي إلى تبدّل نوعي عند بلوغ (عتبة) معينة، وبدلاً من أن يحدث التبدل الكمّيّ تدريجياً، فإنه يكون بـ (قفزة)، وتظهر للحال (نوعية) جديدة؛ إذ يمكن لقرية صغيرة أن تتحول تدريجياً إلى قرية كبيرة، لا بل إلى مدينة صغيرة. لكن بين مدينة وقرية، ليس هنالك فرق كمي (عدد السكان والأبنية، الخ) فحسب، بل كذلك فرق نوعي. فالنشاط المهني قد تغيّر، وليست غلبة السكان !؛ وحلّ محلّ المزارع: العامل والمستخدم. لقد ولدت بيئة اجتماعية جديدة تقدّم مشكلات اجتماعية لم تكن قائمة في القرية، من مثل مشكلة النقل المشترك، وتظهر طبقات اجتماعية جديدة وتناقضات جديدة في ما بينها[٩].

إنّ قانون قفزات التطور القائل بتحولات دفعية للكمية الى كيفية لدى الماركسية أدّى . بحسب رأي السيد الصدر . إلى مشروعية (الانقلاب)، الذي لم يَعُد جائزاً فحسب، بل ضروريّاً وحتميّاً أيضاً !!، لتُسمّى الانقلابات . بعد ذلك . بالمنعطفات التاريخية في تحوّل المجتمع[١٠].

وإذا أنعمنا النظر في اللغة وتاريخها، فإن من المستحيل أن نخضعها إلى الرؤية الماركسية الديالكتيكية بحسب قانون التحوّلات الدفعية للكمية إلى كيفية !؛ لأنّ ''تاريخ اللغة [كما يقول السيد الصدر] لا يحدّثنا عن تحوّلات كيفيّة آنيّة في سيرها التاريخيّ، وإنّما يعبّر عن تحوّلات تدريجيّة في اللغة من الناحية الكمية التدريجيّة الى تغيّر دفعيّ

حاسم؛ لكنّا نستطيع أن نضع أصابعنا على نقاط فاصلة في حياة اللغة، تتحوّل فيها من شكل الى شكل نتيجة للتغيرات الكمية البطيئة، وهذا ما لا نجده في كل اللغات التي عاشها الإنسان واستعملها في حياته الاجتماعية''[١١].

يبدو أن الخطأ الذي وقعت فيه الماركسية يتمثّل في أنها قاست (اللغة) بوصفها ظاهرة إنسانية، اجتماعية، وتغيّراتها على الأمثلة العلمية البحتة، وهذا خطأ منهجي وعلمي في آن !؛ ومنها: مثال الماء، الذي يسخن أو يبرد، إذ تشكل نقطة الغليان ونقطة الانجماد تحت ضغط جوي اعتيادي، الطفرة [أي القفزة] إلى حالة تكتّلية جديدة، أي: تتحوّل الكمّية إلى كيفية[١٢].

لكن هذا المثال وإن كان صحيحاً علمياً لدى السيّد الصدر أيضاً، فإن السيد الصدر نفسه يرفض أن يكون التحوّل في شكل قفزات دائماً، إذ ''ليس من الضروري . وفي جميع المجالات . أن يقفز التطوّر في مراحل معينة، ليكون تطوراً كيفياً. ولا تكفي عدة أمثلة للتدليل العلميّ أو الفلسفيّ على حتميّة هذه القفزات في تاريخ التطوّر، وبخاصة حين تنتقيها الماركسية انتقاءً، وتُهمل الأمثلة التي كانت تستعملها لإيضاح قانون آخر من قوانين الديالكتيك، لا لشيء إلا لأنها لا تتفق مع هذا القانون الجديد !''[١٣].

وللسيد الصدر نقضٌ آخر لقانون التّحوّل من الكمّي إلى الكيفي يتمثّل في أنّ الكمية مقياس أو مظهر علمي للمقيس، كمعرفتنا درجة حرارة الماء باستعمال المقياس؛ ليسهل ضبطها، فإذا تحوّل الماء إلى ثلج أو بخار فإنه يمكننا أن نقيسهما أيضاً بالمقاييس العلمية، كالضغط مثلاً؛ وبذلك يكون التحوّل كمّياً أيضاً، أي من كمّي إلى كمّي، وليس من كمّي إلى كيفيّ كما تدّعي الماركسية !. و ''أما في المنظار الحسّي، أي في مفهومنا الذي يُوحي به إحساسنا بالحرارة حين نغمس يدنا في الماء، أو إحساسنا

بالغاز حين نرى الماء يتحوّل بخاراً، فالحرارة كالغاز حالة كيفية؛ وهي الحالة التي تبعث في نفوسنا شيئاً من الانزعاج حين تكون الحرارة شديدة فالكيفية تتحوّل الى كيفيّة وليست إلى كمية !؛ وهكذا نجد أن الماء في حرارته وتبخره لا يمكن أن يعطي مثالاً لتحوّل الكمية الى كيفية إلا إذا تناقضتا، فنظرنا الى الحرارة بالمنظار العلمي، والى الحالة الغازية بمنظار حسّي''[١٤].

ويستنتج السيد الصدر مما تقدّم أن ''القفزة والدفعة ليستا ضروريتين للتطوّر الكيفيّ، وأن التطوّر كما يكون دفعياً، يكون تدريجياً أيضاً''[١٥]؛ هذا في الظواهر الطبيعية، فكيف يكون الأمر في الظواهر الاجتماعية، الإنسانية ؟!؛ بلا شك أنّها غير مشمولة بالقانون الديالكتيكي الماركسيّ، وبخاصة (اللغة) التي تُعَدّ أبرز الظواهر الاجتماعية الإنسانية؛ لأن اللغة لم تتطوّر ولم تتحوّل تحوّلاً فجائياً، انبثاقاً عن تناقضات المحتوى الداخلي لها، إلا إذا كان العامل المؤثر خارجياً وليس داخلياً، وبذلك تنتفي حركة الديالكتيك المعتمدة على التناقض الداخلي للظاهرة !، ومع ذلك، فإن العامل الخارجي المؤثر في اللغة (أية لغة) لم يُحدِث تبدلات فجائية من حالة إلى حالة أخرى مخالفة لها، فتغدو لغة أخرى كما تحدث الانقلابات السياسية والمجتمعية !. وفضلاً عن ذلك، فإنّ مسارات تحوّلات اللغة غير اتجاهية، وغير منضبطة، وهي في الأغلب تحوّلات متداخلة، يحاول متكلّموها الحفاظ عليها نسبياً من المؤثرات الخارجية قدر الإمكان، ولا يمنع أن يكون التغيّر تدريجياً عبر مسافة زمنية طويلة، وقد تتأثر أجزاء من اللغة وليست اللغة كلها في آن !؛ والأهم من ذلك أنها لا تتغيّر نتيجة تناقضاتها الداخلية (الديالكتيكية).

والخلاصة؛ أنّ ''اللغة من الظواهر الاجتماعية، تتحوّل وتتطوّر؛ ولكنّها لا تخضع لقانون الديالكتيك، فإنّ التاريخ لا يخبرنا عن تحوّلات كيفيّة، ودفعيّة في اللغة؛ بل

تتحوّل اللغة تدريجاً ؛ ولهذا لا توجد نقاط فاصلة في حياة اللغة تتحوّل فيها من شكل إلى شكل آخر، نتيجة للمتغيّرات الكميّة البطيئة(١٦).

ثانياً: دليل المادية التاريخية:

المادية التاريخية تُعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية في ضوء مبادئ التحليل الماركسي بصورة عامة، ومبادئ المادية الديالكتيكية (الجدلية) المعنية بظواهر الكون والطبيعة بصورة خاصة، فهي تستمد من المادية الجدلية مبادئها في تحليل الظواهر والوقائع الاجتماعية، إذ تعتمد اعتماداً أساسياً على المقولات الثلاث الأساسية المتمثلة بأن عمليات التراكم الكمية تؤدي إلى تغيرات كيفية، وأن التناقض بين مكونات الأشياء يعد الأساس في حركتها؛ وما من شيء في الطبيعة والحياة الاجتماعية إلا ويحمل في مكوناته قدراً من التناقض ينتج صراعاً مستمراً بينها؛ وأن الصراع بين المكونات يؤدي باستمرار إلى ما يعرف بنفي النفي، فكل مرحلة من مراحل التطور تنفي بالضرورة المراحل السابقة، ولا يمكن أن تتعايش المراحل مع بعضها إلا لمُدَد مؤقتة توصف بالتناقض، ولا يمكن أن يكون بينها أي وفاق أو استقرار(١٧).

إنّ الماركسية تؤمن بـ (الإنتاج) الذي هو قاعدة رئيسة للمجتمع، بوصفه عملية كفاح ضد الطبيعة، تشترك فيها مجموعة من الناس، لإنتاج حاجاتهم المادية؛ وترتكز على أساسها العلاقات كلها؛ كما يتأسس عليها الوضع الاقتصادي. وعملية تغيير كهذه يقوم بها عدد من الناس، لا يمكن أن توجد تاريخياً ما لم تسبقها شروط معينة، يلخّصها السيد الصدر في أمرين جوهريين(١٨):

أحدهما: (الفكر)، إن الكائن الحي لا يستطيع أن يغيّر من شكل الطبيعة بقصد إشباع حاجاته، فيجعل الحنطة دقيقاً، أو الدقيق خبزاً .. ما لم يكن يملك فكراً عن الشكل الذي سوف يمنحه للطبيعة، فعملية التغيير لا يمكن أن تنفصل بحال عن التفكير فيما ستتمخض عنه العملية من أشكال وأوضاع للطبيعة لا تزال في ابتداء العمل غيبية؛ ولأجل هذا لم يكن من الممكن للحيوان أن يقوم بعملية إنتاج، عملية تغيير حاسم للطبيعة.

ثانيهما: (اللغة) بوصفها المظهر المادي للفكر، الذي يتيح للمشتركين في عملية الإنتاج أن يتفاهموا، ويتخذوا موقفاً موحداً من خلال العملية، فما لم يملك كل منتج أداة التعبير عن فكره، وتفهم أفكار شركائه في العمل لا يستطيع أن ينتج.

ويستنتج السيد الصدر مما تقدّم الآتي[١٩]:

١. إنّ (الفكر) يجب أن يسبق عملية الإنتاج.
٢. إنّ (اللغة) ليست نابعة من عملية الإنتاج، كما تنبع كل العلاقات والظواهر الاجتماعية في زعم الماركسية .. وإنما تنبع من الحاجة إلى تبادل الأفكار، بوصفها المظهر المادي للفكر.

إذن، لم تنشأ (اللغة) في رأي السيد الصدر من القاعدة الرئيسة المزعومة من عملية الإنتاج، على الرغم من أنها أهم ظاهرة اجتماعية على الإطلاق؛ وإنما كانت هي الشرط الضروري تاريخياً في وجود هذه القاعدة المزعومة.

ويختم السيد أدلته بدليل منطقي واقعي بقوله: إنّ أكبر دليل يمكننا أن نقدّمه على ذلك هو[٢٠]:

''استقلال اللغة في تطورها عن الإنتاج وقواه؛ فلو كانت اللغة وليدة الإنتاج، وليدة القاعدة المزعومة؛ لتطوّرت وتغيّرت تبعاً لتطوّر أشكال الإنتاج وتغيّرها، كما تتغير تبعاً لذلك جميع الظواهر والعلاقات الاجتماعية في رأي الماركسية، ولا يوجد ماركسي واحد . وحتى ستالين . يجرؤ على القول بـ: أن اللغة الرّوسية . مثلاً . تغيّرت بعد الثورة الاشتراكية، وتبدّلت إلى لغة جديدة، أو أن الآلة البخاريّة التي غيّرت القاعدة الأساسية للمجتمع، وأحدثت ثورة كبرى في أسلوب الإنتاج قد جاءت بلغة جديدة للإنكليز غير اللغة التي كانوا يتكلمون بها قبل ذلك. فالتاريخ يؤكد . إذن . أن اللغة مستقلة عن الإنتاج في استمراريتها وتطورها. وليس ذلك إلا لأنها لم تنبع من هذا الشكل أو ذاك من أشكال الإنتاج، وإنما نبعت عن فكر وحاجة هما أعمق وأسبق من كل ممارسة للإنتاج الاجتماعي مهما كان شكلها''.

ثالثاً: الدليل السايكولوجي:

يقدّم الماديّون دليلاً سايكولوجياً محاولةً منهم للتدليل ''على أن نشوء الفكر في حياة الإنسانية، كان نتاجاً لظواهر وأوضاع اجتماعية معينة. وينتج عن ذلك أن الكيان الاجتماعي سبقَ في وجوده التاريخي وجودَ الفكر، فلا يمكن أن نفسّر الظواهر الاجتماعية في تكوينها الأول، ونشوئها بعامل مثاليّ . كأفكار الإنسان . ما دامت هذه الأفكار لم تظهر في التاريخ إلا بصورة متأخرة عن حدوث ظواهر اجتماعية معينة، في حياة الناس. وليس من اتجاه علميّ بعد ذلك؛ لتفسير المجتمع وتعليل ولادته إلا الاتجاه الماديّ، الذي يطرح العوامل الفكرية جانباً ويفسّر المجتمع بالعامل الماديّ، بوسائل الإنتاج''[٢١].

وجوهر هذا الدليل المادّيّ في نظر السيد الصدر يكمن في البرهنة على أن الأفكار لم تحدث في عالم الإنسانية إلا بوصفها ظاهرة اجتماعية سابقة؛ فيُستنتَج منه الآتي[٢٢]:

١. إن المجتمع سابق تاريخياً على الفكر.
٢. إن المجتمع ناشئ عن العوامل الماديّة؛ وليس ناشئاً عن الأفكار والآراء.

وقد حاول (ستالين) البرهنة على ذلك بالربط بين الفكر واللغة. إذَ عَدّ اللغة أساساً لوجود الفكر؛ فلا يمكن الحديث عن أفكار عارية من دون أدوات اللغة. يقول (ستالين): ''يقال إن الأفكار تأتي في روح الإنسان قبل أن تعبّر عن نفسها في الحديث. وأنها تولد دون أدوات اللغة، أي دون إطار اللغة، أو بعبارة أخرى: تولد عارية إلا أن هذا خطأ تماماً مهما كانت الأفكار التي تأتي في روح الإنسان، فلا يمكن أن تولد وتوجد إلا على أساس أدوات اللغة، أي على أساس الألفاظ والجمل اللغوية. فليس هناك أفكار عارية متحررة من أدوات اللغة، أو متحررة من المادة الطبيعية التي هي اللغة. فاللغة هي الواقع المباشر للفكر، ولا يمكن أن يتحدث عن فكر من دون لغة، إلا المثاليون وحدهم''[٢٣].

فالماركسية تؤكد على أن الأفكار وليدة اللغة، وليست اللغة إلا ظاهرة اجتماعية، وهي الواقع المباشر للفكر !!.

وقد دافع (جورج بولتزير) عن الرؤية الماديّة المتمثلة بكلام (ستالين) المذكور آنفاً؛ ليبرهن على صحتها بما استخلصه من تجارب العالِم التجريبي (بافلوف) واكتشافاته، الذي استطاع أن يكشف في دراسته الفسيولوجية عن القوانين التي تخضع لها إفرازات الغدد؛ إذ بيّن أنها انعكاسيّة فطرية تضطرب أحياناً على عكس ما كان يراهُ مَن

سبقهُ من العلماء والباحثين[٢٤]. كانت نظرية بافلوف الدليل الأساسي للماركسيين، ولذلك احتج بها(جورج بولتزير) بقوله: ''ولقد أثبتت العلوم الطبيعية صحة هذه النظريات التي قالت بها النزعة المادية الجدلية، كما تنبّأ (لينين)، وذلك في أعمال العالِم الفيزيولوجي الكبير (بافلوف). فلقد اكتشف (بافلوف) أنّ عمليات النشاط الذهني الأساسية إنما هي انعكاسات مشروطة تثيرها الأحاسيس الداخلية أو الخارجية، وهي تحدث في ظروف معينة، كما أنه دلل على أن هذه الأحاسيس تستعمل كإشارات لكل نشاط الجسم الحيّ. كما اكتشف أنّ الكلمات ومضمونها ومعانيها يمكن أن تُحَلّ محلّ الأحاسيس التي تبعثها الأشياء التي تدلّ عليها، فتثير بدورها انعكاسات مشروطة وردود فعل عضوية أو لفظية؛ فتكون بذلك إشارات للإشارات، أي نظاماً ثابتاً للإشارات يقوم على أساس النظام الأول، وهو خاص بالإنسان. اللغة إذاً هي الشرط لنشاط الإنسان الأسمى، وعمله الاجتماعي؛ وهي تحمل الفكر المجرّد الذي يتجاوز الإحساس الحالي. اللغة هي التي تتيح للإنسان أن يعكس الواقع بأكبر قدر من الدقة. ولقد برهنَ (بافلوف) في الوقت ذاته على أنّ ما يحدد وعي الإنسان في الأساس ليس هو جسده، ولا الظروف الحيوية كما يعتقد الماديّون السذّج والمحللون النفسيون، بل المجتمع الذي يعيش فيه ومعرفته لهذا المجتمع، وهكذا تتعلق الناحية البيولوجية في الإنسان بالناحية الاجتماعية؛ لأن الظروف الاجتماعية للحياة هي التي تحدد الحياة العضوية والحياة الذهنية؛ فالفكر بطبيعته ظاهرة اجتماعية. يحق . إذن . القول بأن الدماغ هو عضو الفكر فقط، وهذا لا يخالف أبداً قول الماركسية الأساسيّ: (ليس وعي الناس هو الذي يحدّد وجودهم، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدّد وعيهم)''[٢٥].

لا يمكننا المضي في توضيح آراء (بولتزير) في كلامه الآنف الذكر إلا بعد أن نبيّن بنبذة مختصرة تجربة (بافلوف) التي استنبط منها نظريته، فتترابط لدينا النتائج بالمقدمات.

بدأت أبحاث العالم الروسي (إيفان بافلوف) بدراسة فسيولوجية الجهاز العصبي عند الكلاب، وقد نال بهذا شهرة واسعة في هذا المجال رشّحته لنيل جائزة نوبل، وعلى الرغم من ذياع صيته في المحافل العلمية تجاه المجال الفسيولوجي، إلا أن أعظم اكتشافاته كانت في مجال دراسة سلوك الفعل المنعكس الشرطي ... وقد تبيّن لـ (بافلوف) خلال إجراء العديد من التجارب على الكلاب أن المثير الذي يصاحب تقديم الطعام إلى الكلب، كرؤية الآنية التي يوضع فيها الطعام للكلب، أو الصوت الصادر من وضع تلك الآنية على المنضدة أو حتى صوت وقع أقدام حامل الطعام للكلب، كل هذا يحدث إسالة للعاب الكلب، وبهذا خطر لـ (بافلوف) المفهوم الآتي:

إذا كان الطعام داخل فم الكلب يعتبر مثيرًا طبيعيًّا، فمما لا شك فيه أنه يثير بفعل منعكس، إلا أنه من الصعوبة أن نجد أنه بمجرد وقع بصر الكلب على آنية الطعام أو مجرد سماعه وقع أقدام حامل الطعام، يعتبر مثيرًا طبيعيًّا لهذه الاستجابة، ألا وهي إسالة لعاب الكلب.

ومن ثم نجد هذه الظاهرة قد أثارت بافلوف، وبهذا حاول أن يدرس مدى استجابة الكلب لمثير صناعي، كصوت الجرس خلال مصاحبته للمثير الأصلي، وهو تقديم الطعام؛ أي: أن مثيرات الفعل المنعكس الشرطي، التي ركّز عليها بافلوف تشكّل جزءاً من سلوك الإنسان، ومعنى أفعال منعكسة شرطية لا دخل لنا فيها، أو لا إرادية تتم، فإسالة اللعاب لا دخل لنا فيها، تتم من دون إرادة، إذا وضع الطعام في الفم، والتي لا

يكون المثير فيها محدداً بهذا الشكل، من حيث علاقته بالاستجابة، كذلك لا تكون العلاقة فيها بين المثير والاستجابة، عندما تظهر لأول مرة محددة واضحة(٢٦).

وإذا عدنا إلى قول (بولتزير) السابق الذكر، فإننا نستنتج منه الآتي(٢٧):

١. إن الماركسية تؤمن بعامل الإحساس، وأنّ هذا الإحساس هو الذي أنشأ اللغة!.
٢. إنّ إحساسات الإنسان اقترنت في ما مضى بأصوات عشوائية.
٣. ولطول الاقتران بينهما؛ اكتسبت الأصوات العشوائية طبيعة المثيرات الأصلية التي نشأت مع الإحساس؛ فتولدت اللغة التي ارتبطت بمدلولاتها، التي كانت في الأصل مجرد إحساس !.

ويوضح السيد الصدر هذا الاقتران بحسب نظرية (بافلوف) وأثره في نشوء اللغة بالآتي(٢٨):

١. إنّ العمليات الأساسية للمخ كلها استجابات المنبّهات وإشارات معينة.
٢. هذه المنبّهات والإشارات هي بالدرجة الأولى الإحساسات.
٣. إنّ الاستجابة التي تحصل بالإحساسات ليست فكرة عقلية مجردة عن الشيء؛ لأنها لا تحصل إلا لدى الإحساس بالشيء المعين؛ فهي لا تتيح للإنسان أن يفكر في شيء غائب عنه.
٤. اللغة، والأدوات اللفظية تؤدي دورَ المنبّهات والإشارات الثانوية؛ فيشترط كل لفظ بإحساس معيّن من تلك الاحساسات؛ فيصبح منبّهاً شرطياً بالدرجة الثانية.

٥. يتاح للإنسان أن يفكر عن طريق الاستجابات التي تطلقها المنبّهات اللغوية إلى ذهنه.

فـ ''اللغة [لديهم] هي أساس الفكر. وبما أن اللغة ليست إلا ظاهرة اجتماعية، فالفكر ليس . على هذا . إلا ظاهرة ثانوية للحياة الاجتماعية''[٢٩].

يبدو أن الإنسان في الفكر الماركسي مخلوق لا يتمتع بوعي ولا فكرٍ، ولا يتمتع بلغة، ولا أداة تفاهم، كان قرين الحيوان البهيم، تسوقه الغريزة، بحثاً عن حاجاته كالطعام والشراب وغيرهما؛ ولا نعرف المدة الزمنية التي ظل فيها الإنسان على هذه الحال !، حتى ظهر العامل الشرطيّ فجأة ووجدَ الإنسانُ نفسه يتمتع بأداة تفاهم وتخاطب، فيتفوق على الحيوان الذي كان قرينه من قبل !؛ ثم برد الفعل الشرطي تحوّلت الأصوات المبهمة التي كان يصدرها الإنسان إلى لغة تفاهم ! ومن ثَمَّ بمعونة اللغة استطاع أن ينسج علاقات اجتماعية مع أبناء جنسه قائمة على محور الإنتاج، وحاجات الإنتاج التي تعتمد على ضرورات الطعام والشراب وغيرهما؛ وهو بعد كل هذا ليس بفكر ووعيٍ صالحَينِ !، ثم يظهر الوعي والفكر بعد ذلك؛ وهذا لا يكون إلا وقد مضت على الإنسان أحقاباً سحيقة[٣٠]!!.

إذاً؛ اللغة أسبق من الفكر لدى الماركسية !؛ وهنا يتساءل السيد الصدر[٣١]:

١. هل اللغة أساس الفكر حقاً، (فليست هناك أفكار عارية متحررة من أدوات اللغة)، على حد تعبير (ستالين) ؟؛ ثم يوضح تساؤله هذا بتساؤلينِ آخرينِ[٣٢]:

٢. هل اللغة هي التي خَلَقَتْ من الإنسان كائناً مفكراً، بصفتها ظاهرة اجتماعية معينة، كما يقرر بولتزير ؟

٣. أو أنها وُجِدتْ في حياة الإنسان المفكر، نتيجة لأفكار كانت تريد الوسيلة للتعبير عنها، وعرضها على الآخرين ؟.

وقبل أن نسترسل في ردود السيد الصدر، نودّ أن نشير إلى أنّ جواب السؤال الأول يكون بالنفي قطعاً؛ إذ إن الشواهد الواقعية تؤيد وجود الفكر بمعزل عن اللغة؛ ويشير اللغوي الأميركي (لانگاكر) إلى أن أنواعاً معينة من الفكر يمكن أن تحدث مستقلة تماماً عن اللغة. ومن الأدلة على ذلك الرغبة في التعبير عن فكرة ما مع عدم القدرة على صوغها في كلمات. (ويشبه هذا محاولتنا تذكر اسم شخص نعرفه). فلو كان التفكير مستحيلاً من دون لغة، لما ظهرت هذه المشكلة أبداً؛ وقد تحدث مشكلة عكسيّة عندما يبدأ الإنسان في الكلام قبل أن يفكر، وما قد يسبّبه ذلك من إحساس مزعج(٣٣).

وعَوْداً إلى ردود السيد الصدر ونقضه، يجب أن نشير إلى أن السيد الصدر انتبه إلى أنّ الماركسية حاولت أن تفسّر الفكر الإنساني كله تفسيراً فسيولوجياً، كما يفسّر تحلّب اللعاب عند الكلب تماماً، فأفكار الإنسان كلها استجابات لمختلف أنواع المنبّهات ... ومن تلك المنبّهات الشرطية: كل أدوات اللغة. فلفظة (الماء) . مثلاً . تطلق الاستجابة نفسها التي يطلقها الإحساس بالماء. بسبب اقترانها واشتراطها به. فالإحساس بالماء أو الماء المحسوس منبّه طبيعي، ولفظ (الماء) منبّه شَرطيّ، وكلاهما يطلقان في الذهن استجابة من نوع خاص(٣٤).

والنتيجة التي تنتهي إليها آراء (بافلوف) كما يراها السيد الصدر هي(٣٥):

١. إن الإنسان لا يمكنه أن يفكّر من دون منبّه، لأن الفكر ليس إلا استجابة من نوع خاص للمنبّهات.

٢. لا يُتاح له الفكر العقلي المجرد إلا إذا وجدت بالنسبة إليه منبّهات شَرطية اكتسبت عن طريق اقترانها بالإحساسات، الاستجابات نفسها التي تطلقها تلك الأحاسيس.

٣. إذا بقي الإنسان رهن إحساساته، فلا يستطيع أن يفكر تفكيراً مجرداً، أي أن يفكر في شيء غائب عن حسّه. فلكي يكون الإنسان كائناً مفكراً، لا بد من أن توجد له منبّهات وراء نطاق الإحساسات نطاق المنبّهات الطبيعية.

ويفترض السيد الصدر أن هذا كله صحيح؛ ليتساءَل[٣٦]:

هل يعني ذلك أن اللغة هي أساس وجود الفكر في الحياة الإنسانية ؟.

ويُجيبُ بالنفي: ''لا؛ فإن إشراط شيء معين بالمنبّه الطبيعي، لكي يكون منبّهاً شرطياً، يحصل تارة، بصورة طبيعية، كما إذا اتفق أن اقترنت رؤية الماء بصوت معين، أو بحالة نفسية معينة، مرات عديدة، حتى أصبح ذلك الصوت أو هذه الحالة منبهاً شرطياً يطلق الاستجابة نفسها التي كان يطلقها الإحساس بالماء. فالإشراط في هذه الحالات إشراط طبيعي. ويحصل هذا الاشراط تارة أخرى نتيجة لقصد معين، كما في سلوكنا مع الطفل، إذ نقدم له شيئاً كالحليب، ونكرّر له اسمه، حتى يربط بين الكلمة والشيء. ويصبح الاسم منبّهاً شرطياً للطفل، نتيجة للطريقة التي اتبعناها معه''[٣٧].

وهذا مَلحَظ دقيق لم ينتبه من حاول الاستناد إلى الشاهد الذي استشهد به (وورف) للتدليل على أسبقية اللغة على الفكر، إذ رأى (وورف) أنه كان يبحث عن أسباب الحرائق التي تحدث حينما كان يشتغل في بداية حياته في شركة تأمين ضد الحريق، فكان العمال يعاملون براميل النفط الخالية من دون مبالاة، بينما كانوا حريصين على البراميل المليئة بالنفط؛ وبذلك كانوا يتجاهلون الواقع المؤلم، إذ إن البراميل الخالية من النفط لم تكن خالية من الأبخرة والغازات التي يخلّفها النفط عند تفريغه منها، فلاحظ أن سبب هذه الحوادث هي وجود كلمة فارغ على صهاريج البترول، فهذه اللغة أدت إلى نشوء تفكير لدى العمال؛ وترتيب الأثر على ذلك التفكير(٣٨).

لكنه غفل عن أن هذا الشاهد يخلو من المنبّهات الشرطية لأصوات اللغة، وإذا ما صلُح لشيء، فإنه يصلُحُ شاهداً على تأثير اللغة في التفكير فقط.

ومن هنا يرى السيد الصدر أنّ هناك فرقاً في الإشراط بين أصوات اللغة و(أدواتها والفاظها) يتمثّل بالاتي(٣٩):

١. إنّ عدةً من الأصوات والأحداث قد اقترنت بمنبّهات طبيعية عبر حياة الإنسان، وأشرطت بها إشراطاً طبيعياً؛ وأصبحت بذلك تطلق استجابات معينة في ذهن الإنسان.

٢. إنّ أدوات اللغة . على وجه العموم . وألفاظها، التي أُشرِطَتْ خلال عملية اجتماعية إنما أُشرِطَتْ نتيجة لحاجة الإنسان إلى التعبير عن أفكاره، ونقلها إلى الآخرين، أي إنها وُجِدَتْ في حياة الإنسان؛ لأنه كائن مفكر، يريد التعبير عن أفكاره إلا أن الإنسان أصبح كائناً مفكراً، بسبب أن اللغة وُجِدَتْ

في حياته؛ وإلا فلماذا وجدت في حياته خاصة، ولم توجد في حياة سائر أنواع الحيوان ؟!.

والحقيقة هي عدم وجود تجارب تستند إلى أسس نظريات المثير والاستجابة للسلوك اللفظي؛ لأن تطبيقات المثير والاستجابة على السلوك اللفظي عادة ما تكون محدودة في إطار رسم تشابهات مع الأساليب الفنية للشرط الكلاسيكي والفعّال أكثر من استعراضها لكيفية تأثيرها في السلوك الطبيعي للغة؛ فلو طُلِبَ من الناس تقديم سلسلة من الكلمات المنفردة، فإنهم يميلون إلى نوع معيّن من الكلمات التي تكون قد لقيت التأكيد على يد القائم بالتجربة، كقوله لهم مثلاً: (أحسنت) ! وبذلك يكون الخاضع للتجربة مُدركاً لتأكيدات القائم على التجربة(٤٠).

يبدو أنّ النظرية الماركسية التي ترى أن لا فكر من غير لغة لهي نظرية متطرفة ولم تثبت أمام النقد والتجربة، إذ يوجد فكر من دون لغة، ومثال ذلك الرسم والنحت والتصوير والموسيقى لا تحتاج إلى لغة، وكذلك عدد من العلوم الفعلية كالرياضيات والمنطق الرمزي، فهي لا تحتاج إلى لغة أيضاً(٤١).

فاللغة كما يقررها السيّد الصدر هي أسلوبٌ اتخذه الإنسان منذ أبعد العصور، حين وَجدَ نفسه . وهو يخوض معركة الحياة مع أفراد آخرين . بحاجة مُلِحّة إلى التعبير عن أفكاره، وتفهّم أفكار الآخرين في سبيل تيسير العمليات التي يقومون بها، وتحديد الموقف المشترك أمام الطبيعة، وضد القوى المعادية. هذه الحاجات هي التي فرضت على الإنسان الأخذ بهذا الأسلوب . أسلوب اللغة . بالذات للتعبير عن أفكاره في ضوء ما تم بفعل الطبيعة، أو المصادفة من إشراط بعض الأصوات ببعض المنبّهات الطبيعية عن طريق اقترانها بها مراراً؛ فقد استطاع الإنسان أن ينتفع بذلك في نطاق أوسع، فَوُجِدَتِ

اللغة في حياته؛ فاللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية نجمت عن إحساس الإنسان خلال العمل الاجتماعي المشترك بالحاجة إلى ترجمة أفكاره، والإعلان عنها، وليست هي التي خلقت من الإنسان كائناً مفكراً''[٤٢].

ولهذا يقرّر السيد الصدر بتأكيد:

''اللغة ليست أساس الفكر، وإنما هي أسلوب خاص للتعبير عنه''[٤٣].

- علاقة الواقع بالفكر واللغة:

وفي ضوء ما تقدّم يُجيب السيد الصدر عن السؤالين الآتيين، ويبيّن علاقة الواقع بالفكر واللغة[٤٤]:

ـ لماذا ظهرت اللغة في حياة الإنسان دون غيره من أنواع الحيوان، كما ألمحنا سابقا ؟.

. لماذا وُجِدَ المجتمع الإنساني، ولم يوجد مجتمع كهذا، لأي كائن حي آخر ؟.

الجواب: ''إن الإنسان لمّا كان قادراً على التفكير، فقد أتيح له وحده أن يتخطى حدود الإحساس، فيغيّر من الواقع الذي يحسه، ومن ثَمَّ يغيّر من إحساساته نفسها، تبعاً لتغيير الواقع المحسوس. ولم يتح هذا لأي حيوان آخر، لا يملك قدرة على التفكير، لأنه لا يستطيع أن يدرك ويفكر في شيء سوى الواقع المحسوس بأشكاله الخاصة، فلا يمكنه أن يغيّر الواقع إلى شيء آخر''[٤٥].

وهكذا كان التفكير، هو الذي خص الإنسان بالقدرة على تغيير الواقع المحسوس تغييراً حاسماً. ولما كانت عملية تغيير الواقع هذه، تتطلب في كثير من الأحايين جهوداً متنوعة وكثيرة، فهي تتخذ لأجل ذلك طابعاً اجتماعياً، إذ يقوم بها أفراد متعددون وفقاً لنوعية العملية ومدى الجهود التي تتطلبها، وبذلك توجد علاقة اجتماعية بينهم، لم يكن من الممكن أن توجد علاقة من لونها بين أفراد نوع آخر من الحيوان؛ لأن الحيوانات الأخرى حيث أنها ليست كائنات مفكرة، فهي عاجزة عن القيام بعمليات تغيير حاسم للواقع المحسوس، ومن ثَمَّ لا توجد في ما بينها علاقة اجتماعية من ذلك اللون.

وما إن يدخل الناس في عمليات مشتركة، لتغيير الواقع المحسوس، يصبحون بحاجة إلى لغة؛ لأن الإشارات الحسّية إنما تعبّر عن الواقع المحسوس، ولا تستطيع أن تعبّر عن فكرة تغييره، وعن الروابط الخاصة بين الأشياء المحسوسة، التي يراد تعديلها أو تغييرها. فتوجد اللغة في حياة الإنسان إشباعاً لهذه الحاجة، وإنما وُجِدَت في حياته وحده؛ لأن الحيوان لم يشعر بمثل هذه الحاجة الإنسانية التي كانت وليدة العمل الاجتماعي القائم على أساس التفكير؛ لتغيير الواقع المحسوس، وإيجاد تعديلات حاسمة فيه(٤٦).

الخاتمة

تناول البحث ردود السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سرّه) الفلسفية والتاريخية والواقعية على المنهجين: الماديّ الديالكتي والماديّ التاريخي الماركسيين تجاه الفكر واللغة والواقع، وعلاقة كل منها بالآخر؛ نقض استنتاجات الماركسية للدليل الفسيولوجي الذي قدّمه (بافلوف). فالفكر لدى السيد الصدر يجب أن يسبق عملية الإنتاج، وإن اللغة ليست نابعة من عملية الإنتاج، على النقيض من زعم الماركسية بأنها نابعة من الإنتاج، مثلما تنبع منه كل العلاقات والظواهر الاجتماعية؛ وإنما تنبع في الحقيقة من الحاجة إلى تبادل الأفكار، بوصفها المظهر المادي للفكر.

التفكير هو الذي خص الإنسان بالقدرة على تغيير الواقع المحسوس تغييراً حاسماً بعلاقاته الاجتماعية وبتواصله اللغوي؛ لأن اللغة أداة التفاعل وتبادل الأفكار؛ وبما أنّ الحيوانات ليست كائنات مفكّرة، وليست لديها لغة قادرة على التعبير عن الأفكار وعن الروابط الخاصة بين الأشياء المحسوسة، التي يراد تعديلها أو تغييرها؛ فلا يمكنها تغيير الواقع.

إنّ أصعب ما واجهناه في البحث هو التسلسل المنطقيّ الشديد لردود السيد محمد باقر الصدر (قدّس سرّه) على الماركسية ونقضه لها، وبخاصة في ردوده على نظرية (بافلوف)، إذ تعذّر علينا في كثير من الأحيان قطع هذا التسلسل المنطقيّ للردود، وحاولنا قدر المستطاع أن نضيف ما يمكن إضافته.

وفضلاً عن ذلك؛ فإننا لم نعثر على أي مصدر يتناول نقضاً لنظرية (بافلوف) كما تناولها السيّد الصدر بالردّ والنقض الفلسفيّ؛ وأحسَبُ أن هذا يُعَدّ خصيصة فكرية فذّة للسيّد الشهيد (قدّس سرّه) قلّ أن نجد مثيلاً لها.

الهوامش

---

(١) يُنْظَر: مدخل إلى علم اللغة: ٩، ١٣.

(٢) مفهوم المعنى؛ دراسة تحليلية: ١٨.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢١٦.٢١٥.

(٤) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: ١٤٣.

(٥) هو المرجع الديني السيد محمد باقر بن السيد حيدر بن السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين؛ ينتهي نسبه إلى السيّد إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام). ويبدو أنّ لقبَهُ ولَقَبَ عائلته (الصدر) نسبةً إلى جدّه (صدر الدين). وُلِدَ السيد محمد باقر الصدر في ٢٥ ذي القعدة، عام ١٣٥٣هـ في الكاظمية ببغداد؛ ثم هاجر مع أخيه السيد إسماعيل الصدر إلى النجف الأشرف ليدخل الحوزة العلمية تلميذاً فيها، وقد انتبه العلماء إلى نبوغه المبكّر؛ تتلمذ على أعلام الحوزة العلمية آنذاك، أبرزهم: أخوه الأكبر السيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والشيخ ملا صدرا البادكوبي والشيخ عباس الرميثي، وآية الله السيد الأستاذ أبو القاسم الخوئي، والشيخ محمد تقي الجواهري (رحمهم الله). ألّف في مجالات متعددة كأصول الفقه والمنطق والفلسفة والتاريخ وغيرها؛ أبرزها: (فلسفتنا)، و(اقتصادنا)، و(الأسس المنطقية للاستقراء) وغيرها. أُعتِقَلَ عدة مرات ثم أُعدِمَ مظلوماً في اعتقاله الأخير مع أخته الشهيدة (بنت الهدى) رضوان الله عليهما، في ٩ نيسان سنة ١٩٨٠م بسبب مواقفهما الإسلامية الجهادية والوطنية المناوئة للنظام السابق. تُنظَر ترجمته في كتاب (الشهيد الصدر؛ سنوات المحنة وأيام الحصار): ٢٣.٨٨ وما بعدها.

(٦) مدخل إلى الاشتراكية العلمية: ٨٤ . ٨٨

(٧) يُنظَر: فلسفتنا: ٢٤٢.

(٨) فلسفتنا: ٢٤٢.

(9) مدخل إلى الاشتراكية العلمية: ٨٧.
(10) يُنظَر: فلسفتنا: ٢٤٢.
(11) المصدر نفسه: ٢٤٥.
(12) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية: ٣.
(13) فلسفتنا: ٢٤٤.
(14) المصدر نفسه: ٢٤٧ . ٢٤٨.
(15) المصدر نفسه: ٢٤٥.
(16) الله خالق الكون: ٦١٨ . ٦١٩.
(17) الموسوعة العربية: ٤١٤/١٧.
(18) اقتصادنا: ١٠٩.
(19) المصدر نفسه: ١٠٩.
(20) المصدر نفسه: ١١٠ . ١١١.
(21) المصدر نفسه: ٧٨.
(22) المصدر نفسه: ٧٨.
(23) المادية والمثالية في الفلسفة: ٧٧ نقلاً عن: اقتصادنا: ٧٩. ونود أن نشير إلى أن السيّد الصدر قد ذكر في كتابه (اقتصادنا: ص٧٩ هامش١) أن هذا الكتاب ليس من نتاج جورج بولتزير، وإنما ألّفه كاتبان ماركسيان هما: (جي ميس) و(موريس كافيج)؛ ومنحا كتابهما اسم (بولتزير)، ولذلك تكون نسبة الأقوال إليه.
(24) يُنظر: نظريات التعلّم: ١٦٧.١٦٨.
(25) أصول الفلسفة الماركسية: ١٨٨/١ . ١٨٩.
(26) نظرية بافلوف؛ بحث في مادة علم النفس التربوي: ١؛ وينظر: العلاج السلوكي للطفل؛ أساليبه ونماذج من حالاته: ٤٣.٤٥.

(٢٧) يُنظَر: نقض أوهام المادية الجدلية: ١٤٦.

(٢٨) اقتصادنا: ٨٠ . ٨١.

(٢٩) المصدر نفسه: ٨١.

(٣٠) ينظر: نقض أوهام المادية الجدلية: ١٤٧ . ١٤٨.

(٣١) اقتصادنا: ٨١.

(٣٢) المصدر نفسه: ٨١.

(٣٣) اللغة والفكر: د. أحمد شفيق الخطيب:

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?١١٤٢-
-٩A%٨BA%D%٨D%٨٤%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨%D
١B%٨D%٨٣%٩D%٨١%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩%D

(٣٤) اقتصادنا: ٨٢.

(٣٥) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣٦) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣٧) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣٨) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢١٧.

(٣٩) اقتصادنا: ٨٤.

(٤٠) التفكير واللغة؛ جوديث جرين: ١٨٢ . ١٨٣.

(٤١) يُنظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢١٨.

(٤٢) اقتصادنا: ٨٤.

(٤٣) المصدر نفسه: ٨٤.

(٤٤) المصدر نفسه: ٨٤.

(٤٥) المصدر نفسه: ٨٤ . ٨٥.

(٤٦) المصدر نفسه: ٨٥.

روافد البحث

١. أصول الفلسفة الماركسية: جورج بوليتزر، و جي بيس موريس كافين؛ تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، د.ت.
٢. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت أيلول ١٩٧٨م.
٣. اقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سرّه)، إيران، د.ت.
٤. الله خالق الكون؛ دراسة عليمة حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق: جعفر الهادي؛ إشراف آية الله الشيخ جعفر السبحاني، ط٢، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم . إيران ١٤٢٤هـ.
٥. التفكير واللغة؛ جوديث جرين، ترجمة وتقديم د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.
٦. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٠م.
٧. الشهيد الصدر؛ سنوات المحنة وأيام الحصار: الشيخ محمد رضا النعمانيّ، توزيع مكتبة الصدر، قم، إيران، د.ت.
٨. العلاج السلوكي للطفل؛ أساليبه ونماذج من حالاته: د. عبد الستار إبراهيم و د. عبد العزيز عبد الله الدخيل و د. رضوان إبراهيم؛ سلسلة عالم المعرفة١٨٠، الكويت ١٩٩٣م.

٩. فلسفتنا . دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية الديالكتيكية (الماركسية): السيد محمد باقر الصدر (قدس الله سرّه)، المجمع العلمي للشهيد الصدر (قدس سرّه)، إيران، د.ت.
١٠. اللغة والفكر: د. أحمد شفيق الخطيب:
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?١١٤٢-
D%٨A%٨BA%D%٨D%٨٤%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨%D٩-
D%٨D%٨٣%٩D%٨١%٩D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩%D١B%
١١. المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية: جوزيف ستالين؛ دار القلم ١٩٣٨م.
١٢. المادية والمثالية في الفلسفة: جورج بولتزير، د.م. د.ت.
١٣. مدخل إلى الاشتراكية العلمية؛ إرنست ماندل، ترجمة غسان ماجد وكميل داغر، د.ت.
١٤. مدخل إلى علم اللغة: د. محمد حسن عبد العزيز، دار الوفاء للطباعة، القاهرة ١٩٨٢م.
١٥. مفهوم المعنى؛ دراسة تحليلية: د. عزمي إسلام، الحولية السادسة من حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت ١٩٨٥م.
١٦. الموسوعة العربية: إشراف د. محمود السيد، سوريا، دمشق.
١٧. نظريات التعلّم: أحمد زكي صالح؛ مكتبة النهضة العربية.
١٨. نظرية بافلوف؛ بحث في مادة علم النفس التربوي: محمد سعد؛ قسم التربية، كلية التربية – جامعة المدينة العالمية، شاه علم . ماليزي.
١٩. نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتيكية): د. محمد سعيد رمضان البوطي؛ ط٣، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥م.

Abstract

The Language, The Thought and The Factual Finding in The View of The Dialectic Method and The Methode A'Said Muhammad Baqir A'Sader

Dr. Wisam M. J. Al-Bakry

This research studied the philosophical, historical and the reality views of A'Said Muhammad Baqir A'Sader on the language, the thought and the factual finding in the dialectic Marxist method and the relation between each other.

The language in A'Sader's perspective did not come from the product process as the all relations and social phenomena as the Marxism say, but it flow from the need to thoughts exchange.

The thought in A'Sader perspective must come before the product process.

The human had been specialists with thought that enable him to make a decisive change in the material world by his social relationships and his logistical continuous, because the language represent the interaction instrument and exchange thoughts.

The animals are not thinker creatures, and do not have a language has an ability to express about the thoughts and special relations between material world which need to setting right or change, so animals cannot change the material word or factual finding.